في الأولة سبعة

يسألني الكثيرون عن أسباب تفرغي شبه التام لتربية «آدم»، وتسأل الكثيرات إذا كان يجب أن يتركن عملهن والتفرغ للأطفال.

الإجابة هي: الأم السعيدة تربي أطفالًا سعداءً والعكس صحيح. المشكلة الحقيقية هي الأم التعيسة غير الراضية والمتذبذبة.

خلال فترة حملي قرأت كثيرًا عن سنوات تكوين شخصية الطفل ووجدت أنه رغم قصر هذه المرحلة، فإن أول سبع سنوات تشكل حجر الأثاث في حياة الطفل كمراهق وكشاب وكرجل، حياة الطفلة كفتاة في سن المراهقة والشباب والنضج.

الطفل في رحم أمه يشعر بكل ما تشعر، يعرف إذا كانت تريده أم لا، ويشعر بالطمأنينة أو الخوف أو الحزن أو السعادة، وغيرها من مشاعر الأم في هذه المرحلة! يولد الطفل وتولد معه شخصيته، طفل هادئ، طفل كثير الحركة، طفل مريح، طفل كثير المتطلبات، طفل حذر، طفل متأمل، طفل متهور، وغيرها من السمات التي تكون جزءًا من هدية الله لنا نحن الأمهات!

في هذه المرحلة دوركم هو احتواء هذه الشخصية! لا تحاولوا تعديلها ولا تقويضها ولا ترويضها ولا تغييرها! دوركم هو التقبل والاحتواء! التوافق بين شخصية الأم وشخصية الطفل تشبه كثيرًا التوافق بين شخصيات الأزواج والزوجات وكلما استوعبتم شخصية طفلكم كلما تجاوب معكم!

خلال السنوات الثلاث الأولى تتحدد الأساسيات من حيث درجة الصحة ومراحل النمو الجسدي والعقلي والعاطفي واللغوي وتتحدد كذلك الشخصية! طفل مرح، طفل كئيب، طفل صارخ، طفل عصبي، طفل شغوف، طفل لا مبالي، طفل راضي، طفل ناقم وهكذا!

خلال السنوات الثلاث التالية _ما بين 3 و6 سنوات_ يتشكل السلوك والاتجاهات وردود الأفعال! في هذه الفترة كذلك تعرفوا أسلوب طفلكم التعليمي وكيف يستوعب المعلومات وكيف يعمل عقله وكيف يتفاعل في المواقف المختلفة. الكثير من الكتب تمد هذه المرحلة حتى سبع سنوات!

في السبع سنوات الأولى من عمر طفلكم يتشكل مستقبله ويتحدد مصيره! انظروا إلى البالغين من حولكم وانظروا إلى تخبطهم وصراعاتهم ومشاكلهم النفسية من هروب إلى إنكار إلى عنف إلى قهر إلى تنافسية بغيضة وحاول أن تستشف كيف كانت طفولتهم!

في حالتي، أنا سعيدة، ومحظوظة، لأني اخترت التعرف على «آدم» عن قرب وفهمه ومعرفته واحتوائه! أنا سعيدة لأني اكتشفت أنسب الطرق لتعليمه والتواصل معه، ولأني اكتسبت ثقته وحبه واحترامه! قد يتخبط «آدم» في مراهقته وقد يعاني في شبابه ولكني أعرف أنه سوف يستند إلى طفولته المليئة بالحب والاحتواء والاحترام ليستعيد توازنه!

قد يبدو للكثيرات أنني تركت الـcareer من أجل الأمومة لكن في واقع الأمر، أنا أتعلم في رحلتي مع «آدم» أكثر مما تعلمته في جميع مناصبي وأعمالي السابقة! في النهاية، سوف أختم بنفس الجملة التي بدأت بها حديثي: «الأم السعيدة تربي أطفالًا سعداءً»! عزيزتي الأم، لا تحاربي طفلك ومتطلباته ووجهي كل قوتك لمحاربة كل ما/ من ينغص حياتك ويقلق راحتك ويسحب طاقتك!

كل شيء في الحياة قابل للتعويض وكل قطار قابل للحاق به، إلا السنوات الضائعة من عمر معرفتكم بطفلكم ومعرفته بكم! سبع سنوات لا تعني الكثير من الزمن لكنها تعني كل شيء لطفلكم! جلسات تعديل السلوك ليست ممتعة وكرسي الطبيب النفسي ليس هدفًا وإدمان الفشل أو الحزن أو السلبية أو المخدرات أو المسكرات أو مذهبات العقل، كلها طرقات مظلمة مؤلمة يمكنكم تجنبها إذا حرصتم على طفولة سعيدة صحية ممتعة لطفلكم!

أهم عشر أشياء يحتاجها طفلك في أول سبع سنوات:

• الحضن

لا تسمعوا كلام من يمنعكم من حمل طفلكم بحجة أنه «هيتعود»، ولا تسمعوا كلام من يهمل أهمية الحضن! أثبتت الأبحاث أن الحضن يزيد ذكاء الطفل ويعزز ثقته بنفسه ويساعده على الاستقلال ويكبر الطفل ويصبح رجلًا أو امرأة قادرًا على إرسال واستقبال الحب والحميمية، ومتأكدًا أنه يستحق الحب والاحترام، وينفر من الاستغلال أو الإساءة!

• القبلات

قبلوا رأس طفلكم وكفه وقدمه وبطنه وظهره، قبلوا يده، قبلوا كل موضع إصابة ومكان كل وقعة! قبلوا طفلكم كل يوم ولا تنتظروا مناسبات! قبلوا طفلكم لأنكم تحتاجون لهذه القبلة أكثر منه!

• الابتسامة

طفلكم يحفر ملامحكم في ذاكرته! ينظر لكم رضيعكم ويسجل انطباعاتكم وتعبيراتكم! ابتسموا كثيرًا حتى يتذكركم دائمًا بشوشين! ينظر لكم طفلكم ويكون انطباعاته حول العالم وعليه سيصبح متفائلًا بشوشًا شاكرًا أو متشائمًا متجهمًا ناقمًا! لا تتركوا خلفكم صورة رجل أو امرأة هزمتهم الكآبة أو الحزن أو العنف أو القسوة.

• الضحك

اضحكوا مع طفلكم! اضحكوا بصوت عالٍ! اضحكوا وكأنكم أطفال! اضحكوا واستمتعوا برنين ضحكاته! ضحكات الطفل تزيل الهم والغم وتفرج الكرب!

• الوقت

وقت سعيد! وقت يفعل فيه ما يشاء وما يستهويه وما يحتاجه لينمو!

وقت بدون مقاطعات! وقت بدون شاشات! وقت بدون أولويات أخرى مهما كانت!

وقت طويل! وقت طويل غير أوقات الطعام وأوقات الاستحمام وأوقات دخول الحمام وأوقات النوم والقيلولة! وقت طويل دون أن تشعروا بالملل أو الضجر أو الرغبة في انتهاء هذا الوقت!

• الابتكار

ابتكروا أنشطة وألعاب خاصة بكما وبطفلكما وكأنكما تبتكران «كود سري» بينكما بعيدًا عن العالم ولا يفهم أهميته سواكما! كونوا مبدعين في اختيار النزهات والكتب والقصص والألعاب! ابتكروا في كل ما يناسب ميول ومواهب طفلكم! ابتكروا لأن كل طفل مختلف وهذا الاختلاف هو العمود الفقري لنجاح طفلكم في حياته العملية! طفلكم سينجح فقط عندما يعرف نقاط اختلافه عن غيره ويستثمر فيها!

• الذكريات

بعد عامه السابع سوف يبدأ الطفل في الاصطدام بالحياة وسخافتها تدريجيًّا، وسوف يستند إلى ذكرياته السعيدة كلما ضاق به الواقع! كونوا معه وله ولكم مخزون كبير من الذكريات السعيدة التي ستكون مصدر قوته وصلابته في مواجهة مرحلة ما قبل المراهقة والمراهقة والبلوغ وبدايات سن الرشد وما يتلو الرشد من مراحل!

• الصبر

اصبروا ولا تتعجلوا الفطام! اصبروا ولا تتعجلوا نومه مستقلًّا! اصبروا ولا تتعجلوا خلع الحفاضات! اصبروا ولا تتعجلوا لعبه منفردًا! اصبروا ولا تتعجلوا استقلاله عنكم في الطعام والشراب! اصبروا على الأخطاء والهفوات! اصبروا لأنه سوف يكسر أكوابًا وأطباقًا وزهريات وألعابًا وأدوات! اصبروا لأنه سوف يبكي ويزن ويقاوح ويتفاوض! اصبروا لأنه ما زال يتعلم التحكم في مشاعره وانفعالاته وأعصاب يديه وحركة جسده والتعبير عن احتياجاته! اصبروا لأنه ينظر لكم ويتعلم منكم الصبر والحب والمسؤولية!